دوافع واثر الرسالة الاعلاميةالموجهة الى الجمهور السوداني النوعي

د.سر الختم عثمان الأمين (●)

مقـــدمة:

جاءت فكرة هذه الورقة للبحث عن معالم خطة وقائية لتحصين المتلقّي السوداني في مواجهة تخطيط الإعلام المحلي والدولي للتأثير عليه وتحقيق أهدافه فيه بتوظيف أساليب التأثير المختلفة لتشكيل مفاهيم أو غرس أفكار وآراء جديدة لديه بحيث تحقق الخطة تحصيناً ضد دوافع تلك المؤسسات الإعلامية لإحداث أثرفي قيمه ومفاهيمه واتجاهاته لصالحها ويمكن تأطير هذا الموضوع في ستة محاور إفتراضية تمثل مخاطر الواقع الذي نعيشه في الإعلام الدولي في عصر الفضاءات المفتوحة ،والسماوات المنفرجة وهذه المحاور تتمثل فيها ما سنقوم من تطبيق عملي على بعض القنوات المؤثرة على المتلقي السوداني بالداخل والخارج: –

أولاً : الإعلام الجديد هبط فجأة في بيئة كونية تعج بظواهر إجتماعية مضادة أهمها: تفشي الأمية . انتشار البطالة وسط الشباب . الاختلال الطبقي بروز الغزو الثقافي والفكري . توطيد أركان التبعية السياسية . تعميق الأزمات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

ثانياً: خطورة وسائل الإعلام الجديد على المتلقي . خالي الذهن . والذي ليست لديه القدرة على التعرض الانتقائي لوسائل الإعلام . أو المهارة المعرفية للتمييز بين الرسائل ، أو التحليل أو القدرة على انتقاء المعلومات والأخبار.

ثالثاً: تراجع الراديو والكتاب أمام التلفزة والأنترنت أوجد ثقافة الصورة وهي ثقافة سطحية إمتاعية ترفيهية . دفنت الثقافة العميقة الرصينة.

رابعاً: إيجابياً الإعلام الدولي الجديد أحدث ترابطاً بين أجزاء كل العالم تقريباً ودخلت قطاعات

(●) أستاذ مشارك بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وأمين أمانة الشؤون العلمية بالجامعة .

وفئات جديدة من مجتمعات العالم البشرية في دائرة المشاركة المعرفية العالمية. وقد حقق هذا ما عرف بديمقراطية الإعلام المرئي المسموع.

خامساً: دعم الإعلام الجديد بتقنياته النافذة الهيمنة الاتصالية للدول الغنية والمتقدمة كحالة الدول الأوربية الغربية والولايات المتحدة مع العالم وحالة دول الخليج في المنطقة الإسلامية إعلامياً على غيرها.

سادساً: تسبب هذا الإعلام في أفول السيادة الوطنية للإعلام القومي القطري والإعلام الرسمي للدول وتفتيت الإتصال الجماهيري بتوزيع الخدمة الإعلامية المتخصصة وأفقرت الصحف الورقية إلى حد الإفلاس.

مشكلة الدراسة:.

ويمكن تُمثُّل (القضية الرئيسية) للورقة في مصادر التدفق الإعلامي المؤثر من الداخل والخارج على الجمهور الذي يمثل الرأي العام القائد في المجتمع السوداني وهم صفوة المتعلمين والمثقفين ورجال الفكر والعلم وكيفية التعرف على دوافع هذا التدفق ومنعه من تحقيق أهدافه في بلورة رأي عام داخلي تتم صناعته بهذه الرسائل الإعلامية المتدفقة علينا . (تطبيقاًعلى قناة الجزيرة) كوحدة تحليل أساس ، ثم وسائل إعلامية أخرى في الداخل والخارج ستتم دراستها .

التساؤلات:.

ما هي أهم محطات التلفزة تأثيراً على النخبة الفكرية في السودان ؟

ما أهم محتوى الرسائل في موضوعات قناة الجزيرة خاصة ؟

ما هي القضايا التي تمثل اهتمامات داخلية أو خارجية تم توظيفها لصناعة تصورات أو غرس مفاهيم أو قناعات بهذه القناة ؟

ما هي المصادر التي تساعد مؤسسات الإعلام الأخرى في انتقاء رسائل موجهة لها تأثير مباشر أو غير مباشر ؟

ما هي الفئات المستهدفة من الجمهور السوداني بتلك الرسائل ؟

ما هي الآثار على القيم والاتجاهات والمفاهيم والأفكار

ما هي أكثر الوسائل التي يتعرض لها جمهور النخبة السودانية ولماذا ؟

المنهج :.

تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي بأدواته المختلفة بمستوين:.

مستوى تحليلي يستخدم أداة الملاحظة بالمراقبة للموقف الإعلامي للجزيرة.

مستوى مسحي لبعض قنوات الإذاعة والتلفزة الداخلية والخارجية باللغة العربية وبعض الصحف.

وتستخدم أدوات الإستبانة والملاحظة لاستقصاء رأي جمهور من المتلقين لرسائل تلك المؤسسات الإعلامية عن المرسل الداخلي والخارجي من خلال الأدوات.

وسيتم تقسيم البحث وفق عناصر الاتصال الإعلامي على الترتيب المعتاد في العملية الإتصالية بدءاً بمؤسسات ومروراً بالوسيلة فالرسالة الإعلامية ثم الجمهور وبعدها سيتم قياس الرأي العام النوعي من جمهور نخبة ممثلة لهذا القطاع من الرأي العام يتم اختياره وفقاً للمنهج والهدف.

لمعرفة مقدار التأثير الذي حدث بالتدفق الإعلامي من الداخل والخارج ومحاصرة الأثر الذي تم إحداثه بالفعل والنجاح في تحقيقه سنحاول استخلاص الاتجاهات بالملاحظة ومراقبة الموقف الإعلامي، واستبانة العينة النوعية ومن ثم تقويم هذا التأثير والأثر الناجم عنه وفق نظريات التأثير والاتصال، وسنحاول بناءً على نتائج تقدمها لنا هذه الأدوات ويتم قياسها على النظريات أن نقدم حلولاً في شكل نتائج ومقترحات إن شاء الله.

المبحث الأول
التدفق غير المتوازن

أولاً: دوافع وأهداف التدفق الخارجي:

يعد موضوع التدفق الإخباري العالمي . واختلاله . أحد الموضوعات التي حظيت بإهتمام في الدراسات الإعلامية ولم يقتصر هذا الاهتمام على الباحثين في العالم الثالث الذين بحكم انتمائهم لبلدانهم يعانون آثاره ، ولكنه أمتد أيضاً إلي باحثين غربيين هالهم حجم الاختلال واستغلاله التحقيق مكاسب ومصالح للمنتفعين منه على حساب هوية ومصالح الضعفاء. بل إن الأهم من هذا هو ما حظي به هذا الإختلال من منتديات عالمية، وأبحاث دولية وتغطية علمية وسياسية من قبل مؤسسات دولية كالأمم المتحدة وبعض الهيئات المتفرعة عنها كمنظمة (اليونسكو).

والواقع أن هذه الكثرة الملحوظة في الأدبيات الإعلامية التي عالجت مسألة التدفق الإخباري واختلاله قد تصرف الإنتباه عن مزيد من البحث والتنقيب واستجلاء زوايا أخرى من قبل باحثين قد تغريهم النتائج الجاهزة المتخصصة في عشرات الأبحاث التي أجريت في هذا المضمار. لكن الاستعراض المتأني لمعظم هذه الدراسات يكشف عن إمكانية . وربما ضرورة . إخضاع هذه المسألة لمزيد من البحث ، على أن يكون هذا البحث أكثر تحرراً من الرغبة في الإعتماد على النتائج الجاهزة وتكرار المسلمات نفسها. وعلى هذا الأساس يمكن رصد عدد من السمات التي ميزت دراسات التدفق العربية والأجنبية في معظمها، وهو أمر لاينحسب على تلك الدراسات كافة ، إذ التزم بعضها حذراً جنّبه تكرار الأنساق المطروقة ذاتها ومن هذه السمات مايلي:(١)

تركيز معظم هذه الدراسات على عرض مظاهر الخلل من خلال الدراسات التي أجريت على التدفق ، والتي اشتغل معظمها على رصد مصادر الأنباء الخارجية . خصوصاً . المنشورة في صحف محلية.

---

(١) انظر في هذا الصدد:
Georg Gerbner and George marvanyi: the many worlds of the world prss,In,Richstad and Anderson,(eds),crisis in International news: policies and prospects , SACE, London 19870

خلط معظم هذه الدراسات بين دور وكالات الأنباء العالمية (الأربع الكبار) {(رويترز) و(أ ف ب) و(أ ب) و (يو بي أي)} في الاختلال، كسبب في هذا الاختلال أو كنتيجة أو مظهر من مظاهره. وراح عدد من هذه الدراسات يستند إلي أن هذه الوكالات أهم آليات الاختلال ووسائل تكريسية. (١)

التركيز على أنواع الاختلال وتصنيفها إلي :.

اختلال كمي . اختلال كيفي . وعم التركيز على مستويات الاختلال: الدولي . الإقليمي . والقطري ، في وقت يتعمق فيه الاختلال على المستويات القطرية ، حتى في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، التي تمتلك أكبر نظام إعلامي في العالم، إذا تعاني هذه الدولة من إختلال في تدفق الإنباء على مستوى أقاليمها وولاياتها لصالح عدد من الأقاليم والولايات التي تتمتع بمستوى اقتصادي وثقافي وتمتلك وسائل إعلام أكثر.

إغفال الأبعاد المهنية المتعلقة بمستوى الكادر البشري الذي يعمل في الإعلام في الدول التي تعاني من الاختلال(٢).

اعتبار أن التفاوت في البنى الأساسية ، مدخلات القوة الاقتصادية والعسكرية والتقنية والثقافية داخل الدول . وفيما بينها . هو السبب الرئيسي للتفاوت قدراتها وتفاوت نظمها الإتصالية وهو ايضاً السبب المباشر لمشكلة الاختلال على النطاق الدولي وهو الأمر الذي يصطدم مع حقيقة شكوى دول متقدمة وغنية ، تمتلك مقدرات متطورة في مجال البني الأساسية وتحظى بمدخلات القوة بأنواعها،وتتمتع بحضارة وتاريخ وثقافة مؤثرة (على سبيل المثال):

اليابان ، ايطاليا ، البرتغال . أسبانيا.

وسنحاول في هذا المدخل المعياري أن نستند على هذه الأدبيات لنبنى عليها افتراضنا الرئيس والذي يتمثل في أن السودان يمثل (هامشاً) متلقياً في النظام الإعلامي العربي الذي يمثل مركزه التقني، والتمويلي والتدريبي: مراكز إعلام ومؤسسات دول مجلس التعاون الخليجي العربية ، فالتدفق في الدراسة يعني التدفق منها إلينا والمركز هناك ونحن في الأطراف.

---

(١) يشار بهذا الصدد إلي ما قاله رودي في دي كويستر ، مدير الأنباء البلجيكية BELGA السابق ، عن (الانتقادات العديدة لما يسمى قدرة وكالات الأنباء الكبرى على التحكم في التدفق الإخباري) في: اتحاد وكالات الأنباء العربية: تحديات عصر الإعلام ، ووكالات الأنباء في التسعينيات ص٥٧

(٢) راسم محمد جمال الاتصال والإعلام في الوطن العربي ص ١٦٨،١٦٩

ثانياً: السودان ومواجهة التدفق الإعلامي:

هناك مثلاً شكوى من دول مثل كندا خوفاً من طمس هويتها الوطنية تحت وطأة الإعلام الأمريكي المجاور، مع الاشتراك في ثقافة واحدة هي الانغلو سكسونية مع الولايات المتحدة أقدمت بريطانيا على تأسيس وسائل إعلام قوية نافذة لوسائل الإعلام الأمريكية ونفس المثال ينطبق على حليفتها فرنسا إذاً فإن التدفق الإعلامي الإذاعي المرئي والمسموع عربياً على السودان يشكل خطورة قوية على النظام الإعلامي السوداني الذي لا يملك أدوات توازن القوة مع المؤسسات مثل الجزيرة والجزيرة مباشر ، والعربية وال(BBC) العربية وأبو ظبي الإخبارية وغيرها مع أن السودان عضو قديم في النظام الإعلامي العربي .

إن الصراع الذي يخوضه السودان ممثلاً في وزارة إعلامه عبر المؤسسات الإقليمية لا يعيد إليه توازنه مع المحيط العربي القوي إعلامياً بامتلاكه لأقمار اصطناعية مثل عرب سات ، نايل سات وغيرها من أدوات البنية التحتية للاتصال الإعلامي الواسع الذي نراه لدول الخليج ومصر.

لا يفيد السودان العمل الدبلوماسي الخجول في إطار وزراء إعلام العرب أو اتحاد إذاعات الدول العربية أو الإفريقية ليجد موطئ يقدم ويكون منافساً قوياً لهذه القنوات بإذاعته الوطنية وتلفزيونة القومي أو محطاته الأخرى الفضائية الخاصة أو صحفه المحلية.

لا توجد آليات حالياً لتحقيق مبدأ (التدفق الحر المتوازن) الذي تفاءلت به الدول الفقيرة ، وأن المبدأ نفسة غير واضح في التطبيق العملي.

وأن الصراع ألمفاهيمي بين الدول الفقيرة والدول الغنية داخل العالم الثالث بل وفي النطاق العربي صار واضحاً بين مفهوم الحرية عند الأغنياء للقياس بمفهوم التوزان والحياد ومراعاة المصلحة الوطنية عند الفقراء وفي واحدة من القنوات الفضائية العربية نجد أن التوزيع الجغرافي للمراسلين لا يتم إلا وفق مصلحة سياسية في كل الدول التي تعتبر مناطق للأخبار الساخنة،وجديرة بالتغطية لروابط سياسية أوتحالفات أو رؤى أيديولوجية أو غيرها.

دون الالتفات للأسس المهنية لتغطية، فتغطية (الجزيرة) مثلاً لأحداث مصر وتونس وليبيا من

يناير ٢٠١١م وما بعدها كانت تتم تحت مفهوم المصلحة الوطنية للدولة المقر للشبكة، وباعتبارها نشاطاً إعلامياً مكملاً للسياسة الخارجية القطرية يوضح خاصةً في الحالتين الليبية واليمنية، وإذا قارنا التغطية للحالة (البحرينية) نلاحظ أن (الجزيرة) عالجت الموضوع في إطار استراتيجية مجلس التعاون الخليجي وهذا يرجعنا لتأمل مفهوم صدام الحرية كمبدأ إعلامي مع المصلحة السياسية في هذه الحالات المذكورة والحياد والمهنية.

فكان على المتابع للحالة (البحرينية) أن يتابع قناة (العالم) الإيرانية التي لها مصالح سياسية تابعة لمصالح جماعات الضغط على الملكية المطلقة في المنافسة لتحويلها إلي ملكية دستورية إنجازاً لإصلاحات سياسية لصالح الطائفة الشيعية هنالك بما يحقق أهداف السياسة الخارجية الإيرانية.

وهذا يعكس مفهوم مثل غلق المجتمعات الخليجية في الدول الست المتعاونة سياسياً واعتبارها نظم حكم أكثر تجانساً مع بعضها البعض واتفاقاً في المصالح السياسية.

والبحرين صارت حالة إخبارية معزولة عن (الجزيرة) مثلاً لهذا السبب، والأسس المهنية تتوارى وتظهر هنا المصالح السياسية لملاك وسائل الإعلام من ناحية استراتيجية.

فالعالم عرف نظام المركز والأطراف في كل الإمبراطوريات الإعلامية ولذا كانت إمبراطورية (مار دوخ) الإعلامية المخترقة لأجهزة الشرطة البريطانية قد اهتزت من استراليا إلي لندن بالفضيحة المتعلقة بالتصنت. فإن قاعدة المركز والأطراف تنطبق على الإعلام الخليجي خاصة حالة (الجزيرة). فنرى في قنوات الدول العربية الرسمية تأثيراً أقل من هذه المحطات التي في مركز الإعلام العربي (الخليج) حالياً.(١)

في دول الخليج تتمتع اقتصاديات قوية في المقابل نجد اقتصاديات هشة أو ضعيفة في دول المحيط العربي خاصة دول شمال أفريقيا والشام واليمن.

فلدى الخليج العربي أنشطة خدمات إنتاجية وصناعية متطورة نسبياً إلي جانب مواكبة أحدث تغطية في النظم المعلوماتية لارتباطها التحالفي مع الولايات المتحدة ، ومصالحها التجارية الكبيرة مع اليابان و أوروبا الغربية بل ويشكل النفط مصلحة عالمية لمعظم دول العالم المتقدم. ورغم انعدام الديمقراطية في دول الخليج استطاعت في السنوات الأخيرة أن تقوم بتنمية مؤسسات واحتكارات إعلامية ضخمة ذات قدرة عالية من الحرية لإنتاج الرسائل الإعلامية الخبرية في مناخ ليبرالي.

---

(١) سمير أمين : تطور اللامتكافئ . دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة ترجمة . برهان غليون . دار الطليعة ، بيروت ط٣ ١٩٨٠م

وقد جاء هذا تطوراً طبيعياً للحرية النسبية للصحافة الخليجية ، وخاصة الكويتية ، ورغم أن الكويت الآن تقف في أدنى القائمة بعد قطر والسعودية والإمارات في الإعلام المرئي المسموع ؟ استفادت دول الخليج من مجموع القُدرات الثقافية والفكرية والعربية ونسبة للرواتب العالية والامتيازات المهنية والصلات الجديدة مع الغرب استفادت من هذا الكم من الخبرات التي تدربت في الغرب وبعضها في مؤسسات إعلامية عريقة مثل البي بي سي ثم استفادت من أفضل طاقات الخبرات في إعلام الدول العربية الرسمي في هجرة عقول مستمرة لأكثر من أربعين سنة إلي المركز الخليجي.

ويجب الاعتراف في هذا المقام من النجاح الإداري الفذ لمؤسسات هذه الدول بالنظر لمؤسسات الدول العربية الفقيرة أو الأقل نمواً في اقتصادياتها، فيتمتع الإعلام الخليجي بأفضل ما يتمتع به من القوة البشرية عالية التدريب أو الخبرة ، والتقنية الرقمية بآخر صيحات التقنية وتوظيفها كامل التوظيف . والكوادر المهنية الإعلامية لم تكن لتجد أفضل من مؤسسات الإعلام الخليجي لتبرز فيها مواهبها الفذة وخيالها المبدع وطموحها المهني المتدفق. ولذلك صارت دول الأطراف العربية دولاً مستهلكة من الإعلام الدولي الخليجي وناقلةً عنه مع الأسف وهذا الواقع هو الذي يمكن أن يسمى (اختلال التدفق الإعلامي) العربي / العربي وليس فقط إعلام الشمال إلي الجنوب فحسب،وسنقوم بتطبيق هذا الاختلال في المركز الإقليمي بالاختلال المتمثل في الخليج على قناة (الجزيرة) الخبرية باعتبارها أبرز مثال لاختلال التوازن في التغطية الإخبارية بين المركز الإعلامي الخليجي والأطراف المحيطة بالدول العربية خارج منظومة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الغنية.

المبحث الثاني
حقوق التلقي والمشاركة والإتصال

أولاً: الإطار القانوني العالمي الذي يعيش فيه المتلقي السوداني:
(الحقوق الخاصة بحرية تلقي المعلومات والمشاركة والاتصال بوسائل الإعلام)

النظام الدولي الذي نعيش فيه بعد العام ١٩٩١م متخم في مسائل الحقوق والحريات بمفاهيم مثل: حرية الفرد ،حقوق الإنسان الأساسية، حقوق المرأة ، حقوق الأقليات ، الاعتراف بالقوميات، السوق الحرة، الاقتصاد المعولم. وهي كلها ليست مجرد حقوق وإنما مواثيق ونظم قانونية يقصد بها إزالة الحواجز، وخلق مجتمع عالمي ذي ثقافة واحدة وقيم مشتركة هي الثقافة الليبرالية والقيم الرأسمالية التي لاتفرق بين حرية الفرد والإباحية مثلاً، الربح والربا، أو الاستهلاك والإسراف، والإنتاج والتوظيف والتظالم الطبقي بين أغنياء وفقراء ، والتعاون الاقتصادي والتنمية والاستثمار والاستعمار في علاقة الدول الفقيرة مع الدول الغنية، وفي علاقات الأفراد داخل الدول نفسها سواء كانت نامية أو تحت النمو أو مصنّعة.

ومنذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨م) ثم العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية (ديسمبر١٩٦٦م) وعهد حقوق الإنسان الأوربي (١٩٥٠م) وتكوين اللجنة العربية لحقوق الإنسان (١٩٦٨م)استمرت حملة الحقوق هذه في أطر عديدة، مثل الحق في التنمية والحق في البيئة الصالحة والحق في الانتفاع بالثرات المشترك للبشرية، وحق الشعوب في المعاملة بالمثل ، وحق الوصول إلي وثائق إدارية وسجلات المحفوظات، والحق في الحياة الخاصة، والحق في المعرفة، والحق برفع الظلم ، والحق في تبادل المعلومات.

ورغم أن أكثر هذه الوثائق والحقوق عبارة عن مناشدات لاتعدو قيمتها القانونية أن تكون توصيات غير ملزمة. وأنها لاتعير أهتماماً للأديان والمعتقدات والثقافات الخاصة وإنما قامت على ما يعرف بقانون الحق الطبيعي (والفطري)، وهي أشبه بأدبيات سياسية واجتماعية لم تنل حظها من التطبيق الفعلي، ثم جاء أنتشار وسائل الإعلام الالكتروني الدولي فنقلت المفاهيم الليبرالية من حق الحصول على المعلومات إلي حق الإنسان في

الاتصال الأفقي التبادلي التفاعلي بين الأفراد ووسائل الإعلام. ويسعى كثير من الباحثين في علوم الاتصال للتأكيد على أن الحق في الاتصال ينبغي أن ينص على تأكيد المساواة لكل الأطراف في المشاركة في عناصر العملية الإتصالية. وأن الاتصال الدولي بالراديو والتلفزيون والصحافتين المقروءة والمنظورة والمواقع الشبكية يجب أن يكون إتصالاً متعدد الإطراف والثقافات والاتجاهات بحيث يسمح بأقصى قدر من المشاركة وتبادل الآراء والأفكار والمطروحات والتساوي في فرص الانتفاع من وسائل الإعلام. وأن ذلك قد يؤدي إلي زيادة الروابط والصداقة بين المجتمعات البشرية،ويفرز التفاهم بينهما بما يساعد على القضاء على التعصب القومي والدعاوى العنصرية، ونظم الحكم المتسلطة وغيرها.

وعلماء الاجتماع يرون في الاتصال أصلاً من أصول الحاجة في الإنسان فرداً وجماعة ليحدث التأثيرو التأثر ولينتفع كل بما عند الأخر بما يحقق تطور أفكار ورؤى المجتمعات للعالم الذي يعيشون فيه،وحق المتلقي في الاتصال أثار ويثير إلي اليوم جدلاً واسعاً لأن هذا الحق عندما يخرج من طور التنظير الفكري إلي التطبيق العملي يرتبط أشد الارتباط بالنظم السياسية والإجتماعية القائمة. وبالتالي يتم تفسير هذا الحق وتلك الوثائق على الضوء المرحلة إلتي يمر بهذا المجتمع من التطور والنضج السياسي أو ذاك.

وقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته (١٩) على حق حرية القول وتلقي المعلومات وإذاعتها دون قيود. والمادة (١٢) تنص على الحق في الحياة الخاصة والحماية الشخصية والأسرية وحماية السمعة، والمادة (٢٠) تنص على حق المشاركة في الجمعيات والجهات ومناقشة كل ما يؤثر على سير حياته وأن يستخدم وسائل الاتصال للتعبير عن نفسه وإبلاغ الآخرين وواضح من مفاهيم الإعلان العالمي أن الانتفاع مقصود به أن تكون وسائل الإعلام والإتصال متاحة للجميع دون حكر في كل المدن والأرياف وتخاطب جميع المستويات بالتواصل مع التفاعل. والمشاركة تتمثل في إيجابية المتلقي وأن يكون له دور غير التلقي السلبي بحيث يكون الاتصال تبادلياً وفعالاً.

ومع ذلك أعطى الميثاق العالمي كل دولة حقاً في استخدام مواردها الخاصة في بناء نظم معلومات يمكنها حماية سيادتها والدفاع عن قيمها السياسية والأخلاقية والثقافية ، وإطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها، وكذلك أعطى الشعوب حق احترام قيمها الخاصة وحياة الأفراد فيها ، وكذلك الإنصاف في تبادل المعلومات والتوازن في التدفق الحر للمعلومات مع صيانة الخصوصية الثقافية للشعوب وتعزيز تلك الخصوصية.

ثانياً: المتلقي السوداني في فجوة تشريعات إعلامية ومشكلة عدم التوازن الإعلامي بين الخليج الغني والمحيط العربي:

لا أحد يستطيع أن ينكر الآن أن الخليج العربي بات يمثل مركزاً للثقل الإنتاجي للإعلام المرئي من حيث أنه ذو ارتباط تحالفي مع مؤسسات الإعلام الغربي ذات القدرة الإحتكارية الضخمة ووكالات الخدمة الإعلامية في الولايات المتحدة خاصة وأوربا الغربية ، هذا إن شاءت الدول العربية الأخرى أم لم تشأ يجعلها في الأطراف من هذا المركز مجرد متلقي غير مسيطر على التدفق الإعلامي الوافد عليها، والشراكة الاقتصادية السياسية الإعلامية أثبتت قوتها أكثر مما تثبت استيعاب ونقل التكنولوجيا وجودها والأمثلة أوضح من أن تشرح مجموعة MBC)) أقوى تأثيراً على سبيل المثال من كل القاعدة التغطية التي وفرتها النايل سات لدولة مصر المجاورة لنا.

فرغم الفجوة التكنولوجية بإطلاق قمر صناعي لكل دولة عربية ليس الطريق للتفوق الإعلامي بالنظر إلي التجربة المصرية التي لم تثبت فيها القنوات المصرية أنها استطاعت أن تكون مركز إعلامياً بديلاً أو حتى منافساً لقنوات الخليج. إذاً فإن الشراكة والانفتاح والتدريب والتمويل الهائل هو العامل الحاسم الذي يجعل من المركز مركزاً للتدفق ، والطرف طرفاً في التلقي للإعلام الخارجي الوافد إليه. وذلك بادرت دول عربية كثيرة إلي إنشاء محطات تلفزة خاصة بها أو بأفراد فيها في دول الخليج ذات القاعدة التكنولوجية الأفضل والتمويل الأيسر.

إن ظاهرة تحوّل دول عربية تحت النمو إلي (أطراف الأطراف) في النظام الإعلامي العالمي بعد بروز منطقة الخليج كمركز إعلامي إقليمي قوي يبرر كثيراً إجراء هذه الدراسة على الإعلام الخليجي أو على أكثر نموذج نجاح صارخ في هذه المنظومة الإعلامية وهي منظومة التلفزة المتخصصة ذات الأغراض المتعددة والمتمثلة في تجربة الجزيرة القطرية والتي حولت المتلقي العربي إلي منتج إعلامي بصور الهاتف النقال ومشارك فاعل إعلامياً.

ورغم أن ظاهرة الدول العربية الفقيرة وضعها الطرفي، في النظام الإعلامي العربي وضع مأساوي إلاّ أن هذا يدعو لمزيد من التفكير في إمكانية الاستفادة من هذه الميزة الإقليمية الايجابية في إطار مؤسسات العمل الإعلامي العربي المشترك وما نتج من نظم تعاون مثمر مع هذه الدول النفطية

الغنية إلا أن تجربة الجزيرة في بث روابط استقبال الصور الملتقطة على الهاتف النقال من شوارع العواصم العربية المصاحبة بالإضطراب السياسي يطرح على القانونيين العرب تنقيح التشريعات الإعلامية العربية في نطاق يحفظ الاستقرار السياسي للدول العربية بغض النظر عن مشروعية ما تفعل تلك القنوات أو عدم مشروعية ذلك، وبغض النظر عن الحفاظ على قيم (الحرية) لأن الحرية سلاح ذوحدين. فالمأزوم بآثار الحرية على نظامه الاجتماعي والسياسي أو الاقتصادي حتى هو الذي يستطيع أن يدرك فعلاً ضرورة وجود في هذه التشريعات. حتى .... وسائل الإعلام في إطار إكمالها لأدوار العلاقات العامة لوزارات الخارجية الخليجية أهدافها كاملة في الدول المتلقية لصالح شعوبها هي. لأن الاستراتيجيات لا تبنى تشريعاتها على مناخ الظرف السياسي الطارئ وإنما لمعالجة الإختلال الإعلامي الخليجي / العربي ، بنظام إعلامي عربي عادل في حقوق المرسل والمتلقي معاً.أي يحفظ حق (الحرية الإعلامية) مع حق (المصلحة الوطنية) للدولة التي تكون مادة للرسالة الإعلامية الموجهة إلي داخلها .

ويجب ألا يكون التفكير في تشريعات تلجم سطوة الإعلام الخليجي علي الواقع العربي تفكيراً سلطوياً بقدر ما يكون ذلك تفكير موضوعياً متانياً لأن المصالح الخليجية ليست هي المصالح لمجموع الدول العربية بتباين أوضاعها السياسية الداخلية .

ثالثاً:سلبيات الانتشار الواسع للتلفزيون الدولي

إن ثورة التقنية الهائلة في مجالات الإتصال والإعلام وتدفق المعلومات وما صاحب هذه الثورة من تطوير في الآلات اللالكترونية أدى إلي منافسة الإعلام المرئي المسموع الفيديو كاسيت والنظم الإعلامية القديمة الخطية . بالتقنية المتقدمة في مجالات المعلومات.

هذا الوضع يزاد خطورة إذا علمنا أن هنالك ظواهر اجتماعية أخرى معاكسة تمنع إقامة بيئة إعلامية فعالة لهذه الدول أهمها تفشي الأميّة والبطالة بأنواعها الظاهرة والمقنعة، والتضخم السكاني في المدن، والاختلال الطبقي والثقافي والغزو الثقافي والفكري الأجنبيين وازدياد التبعية السياسية للدول المصدره للتكنولوجيا ما يترتب عليه من تعميق ألازمات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين أقطار العالم العربي من جانب وبين تلك الأقطار ودول العالم المتقدم الصناعي من جانب آخر. إن التقدم التقني العلمي رغم إيجابياته المرتبطة البث والإنتشار في المناطق التي كانت بعيدة عن عمليات نطاق التغطية الإعلامية والإذاعية والتلفزيونية.

مثل: الجزائر والسعودية واندونيسيا... الخ، له العديد من السلبيات والمساوئ وهي ترتبط في اغلبها بكيفية التعرض لمضمون تلك الوسائل ، أي خطورة تعرض المتلقي للبرامج المختلفة دون أن تتوافر لديه المقومات المهارية والمعرفية الكافية لتحليل وانتقاء الفكر والثقافة والمواد الإخبارية التي تبثها وسائل الإتصال الجماهيري المرئي والمسموع.(١)

أورث التلفزيون للمشاهدين السلبية والتلقي طوال ساعات التعرض للمشاهدة فالتهم وقت القراءة وقلل بذلك من إهتمام الشباب بمتابعة أحدث الكتب ومطالعتها.

يقوم التلفزيون بالإستحواذ على المشاهد بصورة كبيرة جداً. وهو يستحوذ على أوقات المشاهدة بصورة مبالغ فيها مثال: إن كثيراً من المشاهدين يخضعون جدولة أوقاتهم وفق برامج التلفزيون وبرامج الشاشة.

كما قلل التلفزيون إلى حد كبير من الترابط العائلي كأن يجتمع أفراد الأسرة معاً لمناقشة موضوعات تهم أحد أفرادها. ولايتيح التلفزيون مجالاً للتخيلُ لأنه يشغل حواس المشاهدة. يؤكد كثير من الأطباء أن المشاهد يتعرض لكمية كبيرة من الإشعاع مضرة بالجسم وعلى درجات متفاوتة حسب نوع التعرض للجلوس أمام التلفزيون مما يؤذي المشاهد سواء في عينه أو جسمه .

فالتقدم التقني في مجالات الفضاء أصبح يشكل محوراً من المحاور الرئيسية التي تحتل إهتمام الباحثين في مختلف الدول على إعتبار أن التقنية صارت عنصراً من عناصر التسلط الفكري والثقافي في الحياة اليومية .(٢)

إذا كان التزاوج بين ثورة المعلومات والتطور النوعي الذي تحقق في مجال تقنيات الاتصال قد تمخض عن عديد من الآثار الإيجابية التي تمثلت في زيادة الترابط الإعلامي بين مختلف أنحاء العالم بصورة لم تشهدها البشرية من قبل فقد بَشّر ذلك بظهور إشكال جديدة من التواصل الإعلامي في مجال المشاركة السياسية والعمل الدبلوماسي بالإضافة الي دخول قطاعات وشرائح جديدة من البشر في دائرة المشاركة المعرفية من خلال المتابعة الإعلامي لمختلف الأحداث العالمية والقرارات المصيرية وظهور ما يسمى بديمقراطية الإعلام المرئي المسموع لكن في ظل التفاوت الهائل بين

(١) نسمة أحمد البطريق ، التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية ، د،ط، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م، ص٣٧.

(٢) نسمة أحمد البطريق ،ص ٤٧.

المتحكمين في العولمة أي في موارد العالم وثرواته وقراراته المصيرية قي شمال العالم وبين سكان وأهالي حزام العوز الاقتصادي من أبناء الحضارات القديمة في جنوب العالم في ظل هذه الأوضاع يظهر الوجه المعتم للتقدم التقني في مجال الاتصال والمعلومات وآثارها الإيجابية حكراً لشعوب ودول الشمال الصناعية المتقدم حيث ساعد التقدم العلمي والتقني على تدعيم الهينمة الاتصالية لدول الشمال والتي تجسدت كأوضح ما تكون في سطوة التدفق الإخباري وتدفق المعلومات من نصف الكرة الشمالي الغني إلي دول الجنوب الفقيرة هذا الإضافة إلي طوفان الأفلام والبرامج والمسلسلات المستوردة والحملات الإعلامية ذات الطابع العالمي والتي تتحكم فيها مجموعة الشركات العالمية العملاقة.

زيادة الفجوة الاقتصادية بين الشمال الغني والجنوب الفقير على مستوى العالم وبين المركز والأطراف فيما بين دول الجنوب نفسها على وجه الخصوص مما أدى إلي تزايد الخلل في التدفق الإعلامي والمعلوماتي من طرف الشمال الغني إلي الجنوب وفيما بين الدول الفقيرة نفسها.

انهيار السيادة القومية للإعلام الوطني في ظل انهيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة: السيادة على الفضاء وحدود وضع السياسات الإعلامية فظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافية الفضائية والعولمة الإتصالية مما دعا إلي الاتجاه لتفتيت الاتصال الجماهيري من أجل تنويع الخدمة الإعلامية المخصصة ويعزز ذلك الاتجاه ما يتميز به التقنية الإتصالية الجديدة من سمات اللاجماهيرية واللاتزامنية والتفاعلية والحركية والشيوع والانتشار مما أدى إلي التركيز على الفرد الذي أصبح هدفاً رئيسياً للاتصال الالكتروني الدولي.

وأدت هذه التغيرات في نظم وآليات الاتصال إلي تفكيك منظومة العلاقات والقيم الاجتماعية. إذ أصبحت العلاقة أُحادية بين المُرسل والرسالة الإعلامية ومستقبلها وأصبح مؤشر التقدم في هذه العلاقة هو سرعة بث المعلومات حتى ولو تم ذلك على حساب اعتبارات المعرفة والصدقيّة.(١)
وأدّى تركُز تقنية الاتصال والمعلومات في دول الشمال الغنية إلي تحول دول الجنوب الي سوق للاستهلاك الإعلامي والإعلاني وتجسد ذلك في زيادة اعتماد دول الجنوب على البرامج الإخبارية والمسلسلات والإعلانات الغربية وعلى الأخص الأمريكية وقد ترتب على ذلك زيادة الهيمنة الإتصالية لدول المركز والمتحكمة في العولمة على دول الأطراف كما أدى ألي تدفق الثقافة المركزية الغربية والمعلومات بلا ضوابط وفي إطار تنافسي تجاري بحت.
كان للتطوارت الراهنة للتقنية الإتصال وأثارها السلبية الملحوظة على وسائل الإعلام المطبوعة (الصحافة) والسينما. فقد اتجهت وكالات الإعلام الي التلفزيون بقنواته المتعددة المركزية والفضائية المشفّرة والمفتوحة حيث اتيحت لها فرص الاستفادة من المزايا العديدة للإعلام المرئي في عصر صعوده وانتشاره مما افقد الصحافة جزءاً كبيراً من الموارد الإعلانية التي كانت تعتمد عليها العديد من المؤسسات الصحفية العملاقة فضلاً عن دور الصحف الصغيرة التي بدأت في تصفية نشاطها وسارع البعض إلي الاندماج لمواجهة الأزمة الحادة التي تواجهها صناعة الصحافة ودور السينما في معظم دول العالم وتقليص عدد من صالات العرض بسبب التغيرات التي طرأت على أوقات الجماهير ومنافسة نوادي الفيديو وانتشار القنوات الفضائية مما كان له تأثيره الحاد على إنتاج الأفلام وتوزيعها(٢)
وكذلك من سلبيات ثقافة الصورة أنها أوجدت ثقافة ترفيهية دونية على حساب المعاني التي تدفع الإنسان الي الارتقاء، علماً أن الترفيه هو في الأساس نوع من الدعاية والترويج لأفكار محددة . وإن لجوء المحطات التلفزيونية العربية الي بث برامج أجنبية والترويج لقيم أجنبية يؤدي

(١) عواطف عبد الرحمن ، الإعلام العربي وقضايا العولمة، الطبعة الأولى ، القاهرة :الناشر العربي للنشر والتوزيع ص٣٥ . ٣٦ .٣٧ .١٩٩٩م
(٢) عواطف عبد الرحمن ، الإعلام وتحديات العصر ، د.ط،الكويت: مجلة عالم الفكر ، ديسمبر،١٩٩٤م ، ص٨،ص٩

لسوء فهم الجمهور العربي للتقاليد العربية الأصيلة والقيم الاجتماعية والأخلاقية وهذا يؤدي الي ارتباك وتفكك المجتمع المعرفي.(١) وتراجع القيم والمبادئ الإسلامية باعتبارها المرجعية الخلقية والعقدية للمجتمع ولصالح القيم الليبرالية والانفتاح على الغرب والعالم وتعظيم دور الأفراد والحريات الشخصية والمصالح الرأسمالية والطبقية وتراجع المساواة والإخاء والإنسانية بالمفهوم الإسلامي من مسرح حياة المسلمين وإذا أردنا أن ندرك خطورة تأثير دول المراكز الإقليمية في الخليج العربي وإنتاجه الإعلامي والشام ومصر وتركيا على سبيل المثال نجد متابعة مدهشة لسلسلة أفلام تعكس صراعاً رأسمالياً اشتراكياً في مسلسلات تعرض النظم الداخلية للعلاقات المنظمات الإرهابية والأحزاب الثورية المضادة لنظم الحكم أو للقوميات المتصارعة مثل الصراع الكردي . التركي والعربي / الفارسي والعلماني/ الإسلامي وكذلك في قيم ضمنية وليست صريحة تدعو إلي مفاهيم الحرية الإباحية بديلة عن الحرية الإسلامية المسؤولة كما في مسلسل مهند ونور التركي الذي شاهده الملايين في العالم العربي ومنهم السودانيون.

وفي المجال الإخباري نجد نموذج الـ(BBC) والحرة والعالم والعربية إلي جانب مجموعة الجزيرة الإعلامية.

رابعاً: القنوات المتلفزة المؤثرة على المتلقي السوداني

نموذج تأثير قناة الجزيرة:

قناة الجزيرة محطة فضائية قطرية استوحى اسمها من شبه الجزيرة القطرية . كانت بدايتها في شهر ابريل من سنة ١٩٩٦م ميلادية بدعم من حكومة قطر الميزانية تجاوزت ١٥٠مليون ريال. كان الهدف من إنشاء المحطة إيجاد إعلام عربي مستقل ينقل للمواطن العربي الخبر بحيادية مما جعل قناة الجزيرة غضون سنوات قليلة تصبح أكبر قناة إخبارية عربية من ناحية الانتشار (أكثر من ٤٥مليون مشاهد) كانت سبباً قوياً في انطلاق قنوات فضائية أخرى بهدف منافستها. أما من أكثر أسباب شهرة قناة الجزيرة عالمياً هو تغطيتها لغزو افغنستان والعراق. بداية القناة كانت فرع عربي لقناة(BBC) الإخبارية البريطانية في قطر. ثم تم إلغاء الفرع واستحدثت الجزيرة على نفس المعدات والتجهيزات رفعت الجزيرة شعاراً لها هو (الرأي والراى الأخر) وكان التطبيق العملي لها

(١) عبد الرازق محمد الدليمي . الإعلام والعولمة ، ط١ ، عمان : دار مكتبة الرائد العلمية، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م، ص٦٢.٦٣.

الشعار واضحاً في البرامج الحوارية التي قدمتها والتي كانت جديدة تماماً على المشاهد العربي، فبرامج أكثر من رأي والاتجاه المعاكس مما تطرحة من أراء متعارضة واستضافة القناة لأصوات من القوى المعارضة وحتى القوة الإسلامية المعتدلة والراديكالية وإتاحة فرصة لهم بعد أن كان الإعلام الرسمي العربي يغيب كل صوت لا يوافقه. من ناحية أخرى فتحت الجزيرة الباب لسماع رأي خبراء وسياسيين ودوليين أجانب سواء كانوا أمريكيين أو أوروبيين وحتى الصحافيين والساسة الإسرائيليين . كل هذه السياسة المفتوحة والمختلفة أحدثت إضطراباً في تقييم أداء القناة سواء من الناحية الرسمية أو من الناحية الشعبية. فالكثير من الحكومات العربية عادت الجزيزة لسماحها للقوة المعارضة بالظهور والتعبير عن أرائها وحتى الإساءة للقيادات العربية التي كانت بمثابة رموز لا يجوز المساس بها. أما من الناحية الشعبية ، فقد اعتبرها البعض صوتاً غربياً يمارس سياسة الترويج للتطبيع مع إسرائيل والغرب مثل: إذاعات البي بي سي وغيرها في حين أعتبرها البعض من المحللين أن الجزيرة ليست سوى وسيلة لترويج لسياسات قطر وتلميع صورتها الإعلامية.

فقطر تقي للعب دور أكبر من حجم قطر الحقيقي هو أمر يخفي صراعاً خفياً بين القيادتين السعودية والقطرية في المنطقة.(١)

أدى ظهور الجزيرة إلي التنبه لوجود إعلام عربي إخباري يقوم بعمل احترافي بعد فقدان الإعلام الرسمي لكل سطوة له قي عصر الفضائيات فظهرت فضائيات منافسة للجزيرة أهمها قناة (العربية) السعودية التي تبث من الإمارات العربية المتحدة والقناة الإخبارية السعودية. وفروعها: الجزيرة الإخبارية . الجزيرة الإنجليزية . الجزيرة الرياضية . قناة الجزيرة للأطفال . قناة الجزيرة مباشر .

(1) http:www.aljazeera.net

والجزيرة الوثائقية.(١)

بدأ بث إرسالها لمدة ٦ساعات في الأول من نوفمبر عام١٩٩٦م على القمر الصناعي العربي (عرب سات) والقمر الأوروبي (يوتلسات) إلي مشاهديها بمنطقة الخليج العربي والشرق الأوسط ، وشمال أفريقيا ، وأوربا ، الولايات المتحدة، كندا: ثم زيد إرسالها الي ١٢ساعة في يونيو١٩٩٧م، والي ١٨ساعة في الأول من نوفمبر١٩٩٧م ثم أصبح إرسالها طوال اليوم ابتداء من أول نوفمبر عام ١٩٩٨م وقد تم تجهيزها منذ بداية إرسالها بأحدث تكنولوجيا البث والإنتاج التلفزيوني التي تعتمد على النظام الرقمي ويرجع تاريخ إنشاء القناة في أوائل عام ١٩٩٥م في إطار خطة شاملة لتحديث الإعلام القطري ، ووضع قطر كدولة خليجية على ساحة الإعلام الفضائي الدولي. وأثارت قناة (الجزيرة) منذ إنشائها جدلاً واسع النطاق في الأوساط العربية حول هوية هذه القناة التي تقدم برامج حوارية جريئة ومادة وثائقية على درجة كبيرة من الأهمية واهتمام العديد من المسئولين والكتاب والإعلاميين والصحفيين المصريين في عهد حسني مبارك لها باتهامات كثيرة مثل.(٢)

((محاولة الوقيعة بين أنظمة الحكم العربية)) وإثارة الفتنة والضغينة بين الأشقاء العرب. لا تعكس قناة الجزيرة الأجندة الإعلامية العربية أو الأوليات العربية ومثل هذا من الكثير من الاتهام التي وجهتها الصحافة المصرية.

من يقارن العناوين الرئيسية لشبكة(CNN) وقناة الجزيرة في أي يوم يلاحظ ترتيب الأحداث واحدة فتبدو الجزيرة وكأنها صورة مترجمة لما تعرضة CNN))،أو(BBC) ، وهي ظاهرة بدأت في التفشي في بعض الفضائيات العربية مع هبوب تيارات العولمة.

إثارة موضوعات على درجة كبيرة من الحساسية.

قصف البناء النفسي والمعنوي والروحي للأمة العربية.

إن الحملة التي تعرضت لها هذه القناة لاشك إنها ساهمت بشكل كبير ودن قصد ، في انتشارها والتي تم التقاطها قاصراً على بعض الطبقات في ذلك الوقت فبدأ المواطن العادي يبحث عن هذه القناة ويسعى جاهداً لمتابعة بعض برامحها التي تثير إهتمام كبار المسئولين وصناع القرار وقادة

(1) http:www.aljazeera.net

(٢) عبد الله محمد زلطة، ، الإعلام الدولي في العصر الحديث،دط، القاهرة: دار الفكر العربي ١٤٢١هـ٢٠٠١م ص١٩٠

الرأي والفكر: وهكذا قدمت الحملة الصحفية الإعلامية المصرية لقناة الجزيرة خدمة دعائية لم تكن في حسبانها، وجعلتها أكثر شهرة وأوسع إنتشاراً !!! ولكن هذا الرأي قد يكون مبالغاً فيه تقدير الدور الدعائي للصحافة المصرية فبعيداً عن الاتهامات الآراء المتشنجة الانفعالية التي صوبت تجاه قناة الجزيرة ، فأن الموضوعية تقتضي للتأكيد علي أن هذه القناة حركت المياه الراكدة في بحيرة الإعلام العربي الذي تسيطر عليه عقلية (الإرشاد القومي) ويئن تحت وطأة التوجيهات الرسمية والروتين والمعالجات السطحية للقضايا الجماهيرية المحلية والقومية والدولية وتضييق الخناق على الفكر الليبرالي وإبراز الفكر المؤيد دائماً وحجب الرأي المعارض ، خاصة في أجهزة الإعلام الرسمية المسموعة والمرئية وتلك كلها أمور تتيح لبعض الفضائيات العربية فرصة الانطلاق خاصة في المجال الإخباري لما لها من وضع خاص يختلف عن القنوات الفضائية الحكومية والجزيرة غير حكومية أنشأتها مؤسسة لها استقلالها الذاتي ، ولا تربطها أي علاقة بتلفزيون قطر أو وزارة الإعلام القطرية: وقد بدأت القناة إرسالها من الدوحة العاصمة السياسية لقطر سنة١٩٩٦م فتخصصت في الأخبار، والأحداث الجارية، بدأت برامجها باللغة العربية .(١)

وللقناة مراسلون من كل العواصم العربية وكل العواصم الغربية، وتعتمد شبكة من المراسلين في جميع أنحاء العالم وهي من أوائل الذين توفرهم لها وكالة (win)الدولية المتخصصة في تزويد

(١) عبد الله محمد زلطة، مرجع سابق ص ١٩١. ١٩٣

القنوات التلفزيونية بالأخبار الدولية.(١)
وتقدم قناة الجزيرة برامج في مختلف المجالات السياسية والثقافية والفنية والرياضية.. الخ
وتتميز قناة الجزيرة باستضافتها لبعض الشخصيات العربية الشهيرة ويتم الحوار على الهواء ،بما يحمله من أراء وأفكار تثير الجدل والنقاش في أوساط المسئولين والمثقفين العرب:(٢)
وقد اعترفت خلال تفاقم أحداث الربيع العربي وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بأن قناة الجزيرة قد تفوقت على القنوات الأمريكية في نقل أحداث الشرق الأوسط من حيث التغطية الخبرية وقالت إن الإعلام الأمريكي ظل يقدم تحليلات مملة عن الأوضاع بينما كان الجزيرة تتصف بالجديد من الأخبار حتى صارت مصدراً معتمداً لدى وزارة الخارجية الأمريكية مكملاً لنشاطها الدبلوماسي الخارجي أثناء الأحداث!
وهذا الكلام لم يكن حديثاً عابراً وإنما كان تقويماً رسمياً للدور الإعلامي العربي أثناء أحداث الشرق الأوسط.
وللمقارنة أجرينا استطلاعاً ميدانياً بأداة (الاستبانه) لعدد من قادة الرأي والمثقفين فوق الجامعيين وبعض الخريجين ذوي الخبرة لقياس رأي النخبة السودانية في تأثير قنوات إذاعية وتلفزيونية وصحف محلية تشكل آرائهم والتأثير عليهم وأهم القضايا التي تجذب انتباههم.
وقد أوصت الدراسة بمؤشرات مفيدة وذلك رغم أن الباحث لم يتقيد ... بنظرية تدفق المعلومات على مرحلتين وهي النظرية الرئيسية التي عولجت البيانات الأولية في الاستطلاع بموجبها إلا أن المراقبة والملاحظة للموقف الإعلامي قد ساهم في تحليل تلك المؤشرات وبيان معاني اتجاهات الرأي العام النوعي التي تحصلنا عليها من تلك الدراسة التي نعترف أنها أجريت على عجالة ولكنها كانت مكتملة الصدقية وحققت الهدف المطلوب من الدراسة.
خامساً: تقويم السياسة الإعلامية لقناة الجزيرة : بأداة (الملاحظة والمراقبة)(٣)
لا يستطيع الإعلام الدولي المتلفز أو غيره تغيير بحريات الأحداث في أماكن أخرى من العالم الموجهة إليه الرسالة الإعلامية إلاّ إذا كانت هناك صور ذهنية لدى الرأي العام المخاطب بهذه الرسالة في نظم تلك الأحداث الجارية . ولذا فإن دراسات المناطق الأجنبية في مجال التعزف على

(١) محمد نصر مهنا،النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية،دط،أسيوط:المكتبة الجامعية،٢٠٠٢م،ص٣٣١.
(٢) عبد الله محمد زلطة مرجع سابق، ص ١٩٤٠
(٣) عند استخدام الباحث لأداة (مراقبة وملاحظة الموقف الإعلامي بالقناة) اعتمد في التقويم على معايير نظريات الصورة الذهنية.

الصورة الذهنية للرأي العام في دولة ما هي التي تعين المرسل والمنتج الإعلامي في صياغة رسالة إعلامية ذات تأثير كبير في أوساط الرأي العام في دولة أو دول أخرى . وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام باستخدام أساليب إعلامية معروفة:

فمن الأساليب التي تستخدمها قناة الجزيرة مثلاً الاعتماد على الإرث الحضاري للرأي العام في المنطقة التي تخطيها لرسالتها الإعلامية واستخدام عبارات تستدعي ذلك الإرث وتضمن ذلك تضميناً مؤثراً في صيغة التقرير الخبري في صيغة التعليق الذي يحمل وجه النظر والرأي في عبارات موحية بمعاني كثيرة مثل : ((اليوم تنجيك ببدنك لتكون لمن خلفك أية)) في صيغة خبر تنحي حسني مبارك عن الحكم ولجوءه إلى شرم الشيخ.

ومثل : عبارة (مدينة عمر المختار) بإيحاء يشيبه معمر ألقذافي بالمستعمر الإيطالي.

كما تعبر عن أن اليمن مطرب للأحوال تسيل فيه الدماء وتتصارع أطراف مجتمعه بعبارة مثل : « إن اليمن السعيد لم يعد سعيداً «وبذلك تكون لدى المشاهدين صورة ذهنية عن تلك المجتمعات وهي في حالة التغيير السياسي تتكون من خبرات قديمة وتجارب سابقة من التاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي.

وحين ضرب مراسل الجزيرة سوداني الجنسية في النيل الأزرق قدمت المحطة الفضائية صوراً للفريق إبراهيم عبيد بتنحي عن السلطة مصحوبةً بأناشيد أكتوبر استفادةً من التراث الفني الغنائي السوداني في الإنشاد والوطني منتقمةً بذلك ممن تعرضوا لمراسلها كما تظن.

فالإرث الحضاري له تأثير بالغ في الشخصيات التي تقود الرأي العام لأن المجتمعات المسلمة تفتئ تذكير أمجاد السابقين وتشكل تلك الأمجاد قيمهم وتصوراته ومناهج تفكيرهم وأسلوب حياتهم باعتبارها معيناً تتشرب منه مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إعداد وبناء شخصية الفرد والجماعة في إطار من التاريخ الأخلاق والقيم والانتماء وهذه كلها تكون قوالب ذهنية جاهزة تستخدمها وسائل الإعلام في التأثير على المجتمعات ومن بينها المجتمع السوداني وتستخدم القنوات العربية والدولية والصحف العالمية حين تتناول القضايا السودانية الداخلية ثلاثة طرق :-

الطريقة الجزئية.
الطريقة البشوش الدلالي ((عدم الدقة)).
طريقة التلوين.
ففي الطريقة الجزئية تنقل هذه الوسائل بعض من الواقع بمعلومات قليلة غير كاملة وبالتالي لا تعبر عن الحقيقة بجوانبها المختلفة ويمكنها أن تنقل صورة جزئية للواقع السوداني نتيجةً للاستنتاجات الناتجة عن معلومات ناقصة وغير كافية.
وتأتي الجزئية أحياناً لتحيز الوسيلة الإعلامية لشخصية سياسية ذات مدلول تاريخي / الصادق المهدي مثلاً ، وبذلك يتم التركيز على جزئية يتحيز لها القائم بالاتصال الإعلامي في تلك القناة أو الصحيفة أو الإذاعة(١). فوسائل الإعلام من خلال وظيفتها الإخبارية تشرح القضايا الخبرية وتفسرها في التقارير حسب منظور القناة الذي بنبي على جزئية من الموضوع مما يخلق انطباعاً منيراً عن الواقع.
وإذا كانت لوسائل الإعلام أجندة فإن للجمهور أيضاً أجندته حين يتعرض لتلك الوسائل فقد كان الجمهور السوداني خلال ما عرف بالربيع العربي جمهوراً انتقائياً في تعرضه فأخذ من أخبار الثورات العربية ما كان مناسباً وتجاهل الجوانب السالبة التي لا تتوافق مع أُطر الواقع السياسي السوداني كذلك الجانب الواقع الاجتماعي والاقتصادي فقد جاءت تلك الأحداث في خضم تحول هائل في الجغرافيا السياسية بانفصال جنوب السودان إلى دولة مستقلة مما وضع الرأي العام السوداني أمام تحديات النضج السياسي اللازم من خلال تجاربه السياسي الطويلة ليحافظ على مصالحه الاقتصادية والسياسية مع مراعاة صيانة المصلحة الوطنية الكبرى وبذلك فإن اهتمامات وأجندة الجمهور السوداني في مواجهة أجندة الإعلامي القائم باتصال في الإذاعات والصحف الدولية كانت هي التي تحدد تأثير الرسالة الإعلامية على هذا الجمهور أكثر من ما تفعله الصور الجزئية أو المتحيزة أو الرمزية أو استغلال الإرث الحضاري في تقديم التقارير الخيرية.
أما طريقة التشويش « عدم الدقة « : فتقوم على اختيار رموز اتصالية تحتمل التأويل ونلاحظ عن المعالجة تركيزاً متعمداً لتوخي الموضوعية والحياد في التعبير الإعلامي ، وخاصة عند إجراء الحوار من جانب مذيعي العروض الإخبارية، عند طرح الأسئلة على ضيوفهم في الاستديو أو عبر الأقمار الاصطناعية ، وكذلك تنويح مواقع وصفات ألئك المستضافين ليعبروا عن أكثر من

(١) سليمان صالح : وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية ، ط١، الكويت الصفا ، مكتب الفلاح.

وجهة نظر متعارضة في الموضوع الذي يشكل خلفية للخبر الساخن المراد إضاءة جوانبه كلها . والهدف الواضح من ذلك هو الظهور بمظهر تحري الدقة في مصادر المعلومات.

بينما يعكس الواقع أن الضيوف يتم اختيارهم بإعداد مسبق وترتيب يعدّهم بتفوق معلومات فريق على آخر حسب خطة هيئة التحرير في المحطة مع تمثيل كل الأطراف يكون هناك عدم تكافؤ في المصادر المطلقة ، والمصادر المأذونة في الحديث . خاصة أولئك الذين يمثلون وجهات النظر الرسمية للحكومات التي تعوقهم عوائق مثل : عدم حرية المعلومات الكافية عن الموضوع لديهم خاصة إذا كانت من الموضوعات ذات السرية العالية أو تتصل برؤساء دولهم ، أو عدم التفويض بحكم الموقع الوظيفي للمستضاف ، أو عدم مهنية واحتراف المتحدث الرسمي أحياناً في فن العلاقات العامة الدولية حينما يتحدث شارحاً سياسات جهته الحكومية في مواجهته الطرف المعارض وجهة النظر .. والذي بما يتزود بمعلومات توفرها وسيلة الإعلام نفسها للدفاع عن موقفه السياسي .. وهذا الأمر أكثر احتمالاً حينما يكون المعارض مستضافاً من داخل الاستديو بوجه خاص لأنه لا يمكن تصور أنه استقدم للقناة لا معنى لحديثة المنتظر.

أما طريقة التلوين فجاءت لكثرة وسائل الإعلام التي تمنع تكوين صورة ذهنية تصطنعها وسيلة إعلام واحدة لأن البدائل العالمية الوسيلة كثيرة ومتاحة للمتلقي.

فالمنظور الخاص لم يعد وارداً كثيراً ، لأن الوسائل الإعلامية تتصارع وجهات نظرها بتصارع وجهات نظر ملاكها الرأسماليين وسياسات الدول أو الشركات أو الحكومات أو الشخصيات التي تديرها لأهدافها طبعاً.

ولأنه لا يمكن إلغاء معلومة متداولة في وسائل إعلام متعددة الوسائط من حولك ، فلا يمكنك أن تتجاهل الخبر الذي لا يتفق مع سياساتك وإنما عليك أن تلّون ذلك الخبر وتصبغه بالصيغة التي تريدها بحيث تكون تعاير إن لم تتفق مع سياساتك في تلك البقعة من العالم فإنها لا تصطدم

بمصالحك وأهدافك من تغطية خبر تلك الدول والمناطق.
فقد مارست الجزيرة الكثير من التلوين أثناء أحداث (الربيع العربي) على ثورة البحرين بحيث كانت تضمن وجهة النظر الرسمية في معالجتها لأحداث «دوّار اللؤلؤة» فيما يعطي انطباعاً موجباً عن المملكة البحرينية ، وبعدت فيه عن تغطية وجهات النظر المعارضة للأسرة المالكة ، والناقدة لسياسات مجلس التعاون الخليجي في تلك الدولة الصغيرة .. بينما كانت تعتمد بشكل أساس في أحداث سوريا على شهود العيان وصورة الشبكة العنكبوتية والهواتف النقالة ، وجمعيات حقوق الإنسان .
مما أضطرها أحياناً لتجاهل أخبار البحرين واعتبارها كأنها لا تكون . أو عرضها بصورة توحي بقرب تحقق الاستقرار في المنامة وما حولها.
فقضية ترتيب الأجندة كان واضحاً حيث الأولوية كانت لثورات شمال أفريقيا مما يعكس مصالح سياسية لملاك « الجزيرة» في حدوث التغيير السياسي ، بل وقد كان ذلك معروفاً قبل وقوع الأحداث أصلاً حيث التناقض السياسي في نظم الحكم بين معمر القدافي ومجموعة مجلس التعاون ، وبين حكم حسني مبارك وحكومة قطر ، وبين حكومة تونس وبين بعض دول الخليج في إطار صراع المصالح ضمن التحالف الأمريكي الخليجي ، والصراع الفرنسي الأمريكي في شمال أفريقيا منذ ثمانينيات القرن المنصرم.

والحقيقة فإن موضوع « الربيع العربي « يحتاج لدراسة مستقلة فإن (الجزيرة) كقناة ذات باقة إخبارية متعددة التخصصات قد قدمت أجندة موحية لما سيقع في مقبل الأيام في العالم العربي باستضافة قادة الرأي والمحللين وأساتذة الجامعات والخبراء والرسميين من السياسيين والرموز الاجتماعية البارزة في برنامج « الاتجاه المعاكس « والذين كان بمثابة زر خطير ، في تحريك كثير من الأحداث لم تنج منها حتى منطقة الخليج نفسها . وكانت المادة الترويجية لهذا البرنامج ذات طابع استفزازي للشعوب العربية التي كانت تفتقر لمناخ الحريات السياسية ، وقد وهم البرنامج الجماهير العربية بعبارة قاسية مثل قول مقدمه « إنهم لا يستطيعون أن يفتحوا أفواههم إلاّ عند طبيب الأسنان !! «

وقد عرضنا أساليب في دراسات الصورة الذهنية وصناعتها استخدمت في القناة موضع الدراسة في مجالات وأساليب هي : جزئية عرض المعلومات ، والتشويش الدلالي وعدم الدقة ، وطريقة تكوين وصيغ المعلومات لمفاهيم يراد تركيزها وإبرازها ولا يخفي أن تنفيذ هذه الأساليب يحتاج لتمويل هائل في استخدام حوافز مالية وافرة للمحررين وكتاب التقارير والمذيعين الذين يؤدون أدوارهم بحماس مؤثر.

وما ينطبق على قناة الجزيرة ينطبق على معظم وسائل الإعلام المعاصرة من صحف دولية وتلفزة عالمية وإذاعات موجهة ، ومحطات رسمية ، ومواقع الكترونية على الشبكة العالمية.

فالحقائق التي تنشرها وسائل الإعلام تتحول إلى حقائق سياسية أو قانونية أو اقتصادية واجتماعية

يكاد يجمع عليها الناس وإن كانت أسباب ودوافع النشر هادفة ومخططة أو تكراراً وترديداً لما تنشره وسائل ذات سمعة وصيت ونفوذ في التدفق الإخباري . رغم أنها لا تتفق كحقائق أو صور مع الواقع في حالات كثيرة . وبذلك تنشر حقائق محرفة وصور زائفة عن واقع دولة أو منطقة أو جماعة أو أمة ما(١).

وإذا كانت قنوات التلفزة تعتمد على مراسليها ومراسلي وكالات الأنباء الكبرى العالمية وصغرها على مصادر أخرى مثل الإذاعات والصحف وشبكة الإنترنت والمصادر الخاصة وشهود العيان والشخصيات العامة الرسمية وغير الرسمية إلا أن صورة أي موضوع متلفز. رغم كل هذا المجهود تظل صورة ناقصة وغير مكتملة.

إلا أن قدرة القناة المعينة على حشد كل هذه المعلومات من هذه المصادر المتنوعة وعرضها بأنماط جمالية مختلفة على الشاشة وبعروض متفاوتة الجذب ومذيعين متميزين في ألفاظهم وفي كامل أناقتهم وفق أحدث وأجود بيوتات الأزياء لا بد أن يكون كل ذلك كافياً ليكون تأثير هذه القناة كبيراً وعميقاً على المشاهد المتلقي منها في بناء في صورة ذهنية وانطباعات إيجابية أو سلبية في كل الظروف والأحوال ، وخاصة إذا كان المشاهد المتلقي خالي الذهن ليست لديه معلومات مسبقة عن الموضوع المعروض أمامه. واعتبارات ضيق حيز الزمن لعرض كل المعلومات والأخبار والتقارير والتعليقات والآراء الواردة من شتى بقاع العالم تدفع قنوات التلفزة وصفحات الصحف ومواقع الويب سايت ونشرات الراديو إلى اختزال المعلومات وفق منظورها الذاتي في تقرير الأهم من أجزاء الموضوع فالأقل أهمية حسب رواية المحرر الصحافي في الإذاعة والصحيفة والقناة والشبكة وهذه تخلق لدى المتلقين صوراً تتسم بالعموم أحياناً لدرجة الغموض أو تزييف الحقائق ، أو إحداث ربط متعسف وغير حقيقي بين أطراف أحداث هذا ومواقف سياسية هناك وتصريحات هنالك ! ولعامل السرعة في هيئة التحرير وغرفة الأنباء دور في ذلك الأمر أيضاً إلى جانب التأثير الخطير لسياسات التحرير للمالكين والناشرين وللنظم المتبعة في البث وترتيب الأولويات الخبرية والفكرية والمواقف السياسية والحضارية تجاه كل القضايا التي تتناول وسائل إعلامهم .

خلاصة الأمر هنا بهذا المبحث أن المتلقي السوداني ليس متلقياً سالباً ؟ وإنما هو متلقٍ ليجيد وضع أجندته الخاصة التي تحاكم أجندة القناة الإخبارية وهو مستقبل جيد الوعي ذو تعرض انتقالي لوسائل الإعلام ، وذلك يرجع الفضل فيه للمناخ الليبرالي للمجتمع السوداني المتسامح من نواته

(١) محمد عبد الحميد ، نظريا ت الإعلام واتجاهات التأثير ، ط٢ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٥٤.

الأولى في الأسرة حيث التعبير عن الرأي جهراً ليس شيئاً يجرم فكان يشاهد الجزيرة إلى جانب متابعة ال(BBC) والعالم الإيرانية والعربية والحرة الأمريكية في آن واحد مما أتاح له التوازن في التلقي وتكون صوره الذهنية مع فارق كبير في الانتقاء طبعاً اعتماداً على جودة وفورية الخدمة الخبرية وذلك جاء التعرض للجزيرة كبيراً جداً بالمقارنة مع القنوات الأخرى.

تحليل الاستبيان

القسم الأول: البيانات الشخصية:

النوع	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	٢٩	٧٣٪
أنثي	١١	٢٧٪
المجموع	٤٠	١٠٠

نسبة الذكور أعلى من الإناث والعينة مقتصرة على من تحصلوا على تعليم جامعي فما فوق

العمر	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من ٣٠ سنه	١٠	٢٥٪
٣١-٤٠ سنه	١٨	٤٥٪
١٥-٥٠ سنه	٨	٢٠٪
أكثر من ٥٠ سنه	٤	١٠٪
المجموع	٤٠	١٠٠٪

٧٠٪ من العينة دون الأربعين عاماً وهم الجزء الفعال والديناميكي الحيوي في المجتمع .. بينما أقل من الثلث فوق هذه السن والعينة اشتملت عشوائياً على موظفين وأساتذة جامعات دون مراعاة التخصصات أو الوظائف لكونهم يمثلون مجرد جمهور لوسائل الإعلام المراد قياس تأثيرها.

القسم الثاني: البيانات الموضوعية:

١.الوسائط والمؤسسات الإعلامية التي أتلقاها:

أ. القنوات التلفازية	التكرارات	النسبة المئوية
الجزيرة	٣٢	٨٠٪
العربية	١٠	٢٥٪
الحرة	٥	١٣٪
العالم	٤	١٠٪
تلفزيون السودان	٢٣	٥٨٪
المنار	١	٣٪
إقرأ	١٧	٤٣٪
الرسالة	٦	١٥٪
البيبي سي	١٠	٢٥٪

الواضح أن العدد الزائد عن (٤٠) مفردة هي مجرد تكرار لافراد يعتبرون أنفسهم متلقين منتظمين لأكثر من وسيلة إعلام. وأدخلت قنوات مثل إقرأ والرسالة لقياس درجة الاهتمام بالتلقي الفكري وبلغت في مجموعها ٥٨٪ من نسب التعرض لدى العينة وهي نسبة معتبرة تنافس القنوات

السياسية. وتبين أن الإعلام الوطني ترك فراغاً فكرياً في منظومة الفكر الإسلامي بما أعطى الخليج مجالاً للتوجيه فيه

وإذا كان الجدول السابق قد قاس نسب التعرض للرسالة الإعلامية المتلفزة فإن الجدول التالي في (ب) يعكس التعرض من القراء للصحف المحلية.

ب.الصحف	التكرارات	النسبة المئوية
الرآي العام	١٦	٤٠٪
الصحافة	٤	١٠٪
الإنتباهة	٢٨	٧٠٪
آخر لحظة	٢٠	٥٠٪
أخبار اليوم	٨	٢٠٪

واضح أن المتلقي للصحافة السودانية مستغرق لقضايا الوحدة والسلام حيث حازت (الانتباهة) ذات التوجه الانفصالي لأعلى نسبة تليها آخر لحظة فالرأي العام، وجاءت الصحافة في ذيل القائمة رغم أنها صحافة رأي ومقالات بالدرجة الأولى. والواضح أن القارئ السوداني ذا فضول إخباري عالٍ

٢.أهتم عند المشاهدة والاستماع والقراءة بـ:

أهتم بالأتي	التكرارات	النسبة المئوية
الأخبار	٣٨	٩٥٪
الحوارات والمقابلات	٣	٨٪
مقالات الرأي	٣	٨٪
التقارير الخبرية	٦	١٥٪

وجدول الاهتمام السابق يفسر أن صحف الرأي وبرامجه لا قيمة لها فالأخبار تتصدر الاهتمام عند المتلقي بعدها التقارير الخبرية وآخر المواد هي مواد الرأي.

٣.أهم وأصدق مصادر الأخبار والتعليقات:

المصادر	التكرارات	النسبة المئوية
السياسيون	١	٣٪
المسؤولون الرسميون	٤	١٠٪
الصحفيون المحللون	٦	١٥٪
الأساتذة	٥	١٣٪
العلماء والخبراء	١٠	٢٥٪
المراسلون	٤	١٠٪
شهوود العيان	٢١	٥٣٪

الجدول يضع السياسي في أدنى درجة من الصدقية عند المتلقي وشهود العيان في أعلى درجة والخبراء في الوسط. والآخرون دون ذلك مثل الأساتذة والمحليين وحتى المراسلين أنفسهم. ومفهوم أن التحيز عند المراسل والأستاذ الجامعي هو السبب.

٤.تجنبني قضايا مثل:

القضايا	التكرارات	النسبة المئوية
الأحداث الساخنة	١١	٪٢٨
التصريحات القوية	٤	٪١٠
الكوارث الطبيعية	٢٦	٪٦٥
المفاوضات واللقاءات السياسية	٣	٪٨
المذكرات لشهود العصر	٣	٪٨
تقارير المراسلة	٣	٪٨

البعد الإنساني والعاطفي للكارثة الطبيعية يبرر بنسبة ٦٥٪ بسبب الحزن نحو ما وكذا الأحداث الساخنة ولا يكترث المتلقي كما أثبت بالتعليق والمذكرات والتقارير كثيراً كما هو واضح من الجدول. وهو مطابق لسيادة الاهتمام الخبري لديه كما وضح في الجداول السابقة.

٥.أكثر ما يستفيد منه المراسلون حسب نظرك:

مايستفيد منه المراسلون	التكرارات	النسبة المئوية
الصحف المحلية	٠	٪٠
المحللون المحليون	٩	٪٢٣
أساتذة الجامعات	٣	٪٨
الباحثون	٩	٪٢٣
الصحفيون	٥	٪١٣
المسؤولون الرسميون	٩	٪٢٣
شهود العيان	٢٣	٪٥٨

يرى المتلقي أن الصحف السودانية لا تشكل مصادر لمراسلي القنوات الخارجية ربما لأنهم لا يشاهدون ملخصات لما تنشر الصحف السودانية في تلك القنوات بينما أعطوا شهود العيان ٥٨٪ من الاستفادة كمصادر لتلك القنوات وأعطوا نسبة متساوية للمحليين والباحثين على السواء.

٦.أكثر من يتأثر بالقنوات والصحف والإذاعات:

المتأثرون	التكرارات	النسبة المئوية
الشباب والطلاب	١٩	٤٨٪
النساء وربات البيوت	٥	١٣٪
الرجال الناضجون	٧	١٨٪
المثقفون وقادة الرأي	١٤	٣٥٪
أنصاف المتعلمين	٤	١٠٪
القادةوالسياسيون الإعلاميون والمحللون	٧	١٨٪

مذهل جداً ومهم أن تعلم أن الشباب والطلاب يشكلون نسبة ٤٨٪ من المتأثرين بالقنوات والاذاعات والصحف وهي بنسبهم في مجتمع البحث وفي مفردات العينة ٧٠٪ أكثر من نصفهم (أي ٤٨٪) يتأثرون وهم مجموع من هم دون الأربعين سنة حسب العينة التي تم البحث فيها ونجد أن المتلقي يرى أن قادة الرأي والمثقفون يتاثرون بالقنوات. وأن السياسيين والإعلاميين والمحليين لا يتأثرون إلا نسبة ٧٪ وهي نسبة قليلة. وقادة الرأي هم من يوجهون بقية الفئات الأقل ثقافة في المجتمع ويمتلكون بوابة للأفكار المنتقلة من وسائل الإعلام إليهم حسب نظرية (انتقال المعلومات على مرحلتين) وإذا أضفنا ذلك للنسبة العالية للشباب والطلاب في العينة أصلاً فإن التأثير بالقنوات يكاد يكون كاملاً من حيث النوع المتعرض وليس الفئة فقط.

ونتائج الجدول (٦) متسقة مع اتجاهات الشباب في العالم العربي إذ أن التلفزيون ظل مساهماً كبيراً في ثورات الشباب في تلك البلاد . مما يعني أن الإطار المرجعي (frame of reference) متحد في السودان مع أولئك الشباب .

وتفسير عدم وجود رد فعل مماثل في السودان إنما يرجع إلى نظرية (التعرض الانتقائي) لأن السودان ليست فيه بواعث أزمة كافية مع وجود وعي سياسي عالٍ نسبياً بسبب انتشار التعليم ، بل ونظام التعليم نفسه يتيح قدراً من الحرية الفكرية في المناهج والمقررات والنشاط الطلابي خاصة في الجامعة مما يحدث تعريفاً لديهم في منابر والاتصال المباشر والجمع في (النشاط الطلابي) وهذا يتسق مع نظرية (التطهير) أن تنفيس العنف وهو واضح في سلوك الشباب السوداني المتعلم داخل أسوار الجامعات وغيرها.

النتائج المستحصلة من الجداول:

إن أكثر من ثلثي المتعلمين – فوق الجامعيين – من الشباب دون الأربعين سنة في مجتمع البحث ، وهم جمهور متأثر بقدر عالٍ بوسائل الإعلام الداخلية والخارجية معاً وجاءوا في قمة الهرم في المتلقي والتأثر أيضاً.

إن قناة (الجزيرة) تتصدر القنوات الخارجية المؤثرة على العينة المبحوثة ويمكن تعميم ذلك على كل مجتمع البحث (أوساط المتعلمين المثقفين – يليها تلفزيون السودان بنسبة تقارب ربع العينة المبحوثة وهذا أعلى مما هو متوقع في ظل المنافسة العالية تقنياً وقدرات وإدارة. ويحسب ذلك للولاء الوطني المتقدم لدى الفئة المبحوثة تليهما (العربية) وهي خليجية أيضاً بتمويل سعودي.

مشاهدة قناة إقرأ أكبر من متابعي الـ(BBC) العربية بنسبة (٧٪). وهذا مؤشر للاتجاه الاسلامي في التفكير لدى العينة والرغبة في الإستزادة العلمية في ذات الاتجاه فهي ليست قناة خبرية وهذا يلبي طموح البحث عن القدوة لدى الشباب من خلال أشخاص:مثل طارق السويدان . عمروخالد . راتب النابليسي.ولأنها تقدم أفكار شبابية وأسرية جديدة.

التأثر بالصحف المحلية جاء متفقاً مع حماس الشباب دون الأربعين للمواقف الحادة – دون المعتدلة – ولذا جاءت صحيفة (الانتباهة) كأعلى معدل إنقرائية ، تليها آخر لحظة ، ذات الصيغة الخبرية المنوعة، وهذا يعكس تعدد أنواع الإشباع في المواد الصحفية السياسية والاجتماعية والفنية العامة.

بينما جاءت الرأي العام في المرتبة الثالثة رغم رصانتها وجديتها، لأنها متأرجحة بين الخبر والرأي

والعمود فلم تشبع واحدة من الثلاثة. والقارئ يريد أخباراً وسبقاً صحفياً.
جدول الاهتمام وضع الأخبار في أعلى القائمة وتليها التقارير الخبرية
جدول المصادر وضع شهود العيان في أعلى السلم والسياسيين في أدناها.
جدول الجذب وضع أخبار الكوارث في أعلى السلم ثم تليها الأحداث الساخنة، وكلها أخبار كما نرى فيها الجانب الإنساني.
جدول مصادر المراسلة الخارجية وضعت شهود العيان في أعلى القائمة يليها المحللون والباحثون ثم الرسميون. وهذا يؤكد وضوح الفهم لدى المتلقي السوداني عن من يتلقوا أخباره ومعلوماته حسب المصدر.

نتائج الدراســة

أولاً: دوافع قناة الجزيرة في المتلقي:

دافعية الوصول إلي عالمية الإعلام الخليجي بالقناة تحقيقاً لمقاصد الدور الدولي لقطر في منظومة مجلس التعاون والنظام العربي ، وذلك بتعظيم تأثير الإعلام المرئي بوسائطة التفاعلية على الداخل العربي والمحيط الإسلامي سياسياً.

التفوق على الخصم الإسرائيلي خاصة والصهيونية عامة في توجيه الأحداث بوسائل الإتصال والقيام بدور مؤثر وفاعل في القضية الفلسطينية.

تحجيم دور الإعلام الشيعي المنافس في المنطقة. وقد أبرزت قنوات (المنار) و(العالم) في قياسنا الميداني أنها لم تصمد أمام سطوة الجزيرة الإعلامية. وتعزيز مكانة قطر السياسية في المنظومة الخليجية بذلك.

أخذ زمام المبادرة في الداخل العربي السياسي وقضايا النزاعات خاصة سواء كانت نزاعاً على السلطة أو الأرض أو الأيدولوجيا والفكرة والظهور بالاعتدال بين الواقع الإسلامي المتطلع، والواقع الدولي الضاغط.

إحداث توازن مع الإعلام الغربي خاصة الأمريكي والبريطاني وإظهار قيادة لقاطرة الإعلام الخليجي ومن ثم العربي من جانب دولة قطر خاصة.

تحسين صورة النظم السياسية الخليجية خاصة في الغرب في مجال الحريات الصحافية، والتعاطي مع الواقع الجماهيري العربي بحياد بعد حروب العراق ، وأفغانستان وتطورات السياسة في الشرق الأوسط وتضاؤل الدور المصري الإقليمي وضعف الدور السعودي وبروز الدور التركي والإيراني.

ثانياً: أثر الرسالة الإعلامية الموجهة للنخبة في السودان:

الرسائل الإخبارية ، وخاصة الساخنة والحوادث والكوارث لها أثر فاعل على الجمهور السوداني المتلقي سواء من القنوات الخارجية أو الصحف المحلية.

الشباب والطلاب والذين دون الأربعين سنة هم أكثر القطاعات المتعرضة لوسائل الإعلام في

الداخل والخارج. مما يوحى بأن التطلعات السياسية نحو الجديد والمثير كبيرة لدى هذه الفئة.
أوضحت الدراسة الميدانية إختلالاً ملحوظاً بين الإعلام الخارجي (الخليجي) والسوداني لصالح الأول.
لايثق المتلقي السوداني في المسؤول الرسمي قي قضايا الرأي وتكوين الإتجاه،ويثق في شاهد العيان أكثر منه وكذلك في الخبر المحايد. بما يعني أن إنتاج البرامج يحتاج لإعادة نظر.
لايوجد تأثير قوي لإعلام الدول الغربية ليعكس التأثير الواضح للإعلام الخليجي خاصة سياسياً وفكرياً في جمهورنا المحلي.
أوضحت الدراسة أن الرجال المسنين وكذلك النسوة لا يتعرضون كثيراً لوسائل الإعلام المرئية والصحافة وربما يعود ذلك لضعف البصر ووهن العظم، وهذا يعطي مؤشراً ليقوم الراديو بدوره تجاه هذا القطاع المهم.
أوضحت (ملاحظة الموقف الإعلامي) بالمراقبة وفق نظريات الصورة الذهنية من جانب الباحث مايلي:
المتلقي السوداني ملول تجاه البرامج الفكرية وبرامج الرأي وصحف المقالات وسلبي بنسبة كبيرة تجاهها.
أنه مثله مثل الجمهور العربي يتأثر بمتلازمة التكرار والإعادة بالاستدعاء للذاكرة التاريخية واللغوية في مخزونه المعرفي وفي أنماطه الذهنية الجامدة تجاه الأشخاص والأحداث والأماكن ، وقد طبقت فيه نظرة ترتيب الأجندة والصور الذهنية الجامدة مثل حالات:
(زنقة .. زنقة) عبارة معمر القذافي.
(....أم أن الشعوب العربية لا تستطيع أن تفتح فمها إلا عند طبيب الأسنان) فيصل القاسم مقدم برنامج الاتجاه المعاكس .
(هرمنا..هرمنا) محمود حنفي معارض تونسي.
(ضع. بصمتك) محمد العريفي داعية سعودي.

(صناع الحياة) عمرو خالد داعية مصري.
(اليمن السعيد لم يعد سعيداً) تعليق حسن أبو الحسن . الجزيرة.
(اليوم ننجيك ببدنك) لحسني مبارك . نفس المعلق.
إلي ذلك من الأمثلة لا تحصر
الصحافة السودانية .. صحافة رأي في نظر المتلقي السوداني وليست صحافة خبر. وهذا ما رفع أسهم صحف مثل الإنتباهة إلتي عزفت على وتر حساس لا يخلو من تطبيق نظرية التطهير النفسي،، وإن لم تتعمد ذلك أو تخطط له تجاه احباطات مشكلة الجنوب على القارئ الشمالي.
الشباب السوداني المعاصر لنا ليس ذلك الشباب القارئ المتأني الذي تصدر له (الصحف الرصينة) وإنما هو قارئ عجول متأثر بثقافة الرسائل القصيرة (SMS) ويتغير مزاجه في التعرض الانتقائي وفق سرعة زر التحكم عن بعد.
الدراسة أوضحت أن المتلقي باللغة الأجنبية (غير العربية) في أوساط الجمهور السوداني في حكم الانعدام.
الثقة في مصدرية الصحف السودانية وتأثيرها على المراسلين الأجانب في السودان (صفر) وعلى الصحافة السودانية أن تبحث لنفسها عن موطأ قدم في السبق الصحفي الداخلي.
لم يثبت المشاهد السوداني تفاعلاً عالياً مع الأحداث عبر قناة الجزيرة (مباشر) مما يضع علامات استفهام حول انتمائه العربي للمحيط الجغرافي السياسي حوله. وهذا يحتاج لدراسة مستقلة.

التوصيات

إقامة قناة سودانية إخبارية مستقلة لاتعنى بغير الأخبار وما وراءها والحوارات.

إقامة قناة إسلامية فكرية مستقلة تلبي حاجة الشباب في تجديد الفكر الإسلامي وتطوير الحياة المعاصرة بفقه مواكب وتأصيل الحياة وتغيراتها.

إصدار صحف ورقية والكترونية تنافس في المحتوى والشكل والمادة التحريرية والجماليات الصحافة العربية على الأقل.

تطوير نظام الراديو في السودان والإهتمام بتوفير نظم استقبال بالكيبل بالتعاون بين سوداتل وهيئة الإذاعة القومية لتغطية كل السودان بالراديو الخطي (الكيبل) واستيراد أنماط جديدة من أجهزة الاستقبال.

تطوير قدرات التدريب المهني في كليات الإعلام، وقدرات التخطيط الأكاديمي والبحث في مؤسسات الإعلام المهني، وإيجاد علاقة اعتماد متبادل بين الطرفين واضحة المعالم.

إدخال مقرر دراسي في الثانوية في الإعلام وعلوم الاتصال لغرس المهارات وتوجيه المواهب.

توطييد تقنيات الإعلام في كليات الهندسة الالكترونية والاتصالات كتخصص منفصل.

إنشاء مجلس أعلى للإجازة للمهن الإعلامية أسوة بالمجلس الطبي والمجلس الهندسي وغيرهما على أن يشمل الصحافة بأنواعها المقروءة والمنظورة والمرئية والمسموعة.

بانطلاق قناة (أفريقيا) و (سونا) للأنباء إذاعياً وتلفزيونياً في أقرب وقت ممكن.

١٠.تطوير التعاون الفني والتقني والتدريبي مع دول الخليج ومصر وتركيا والدول الأوربية.

١١. إنشاء معهد دراسات (تشريع الإعلام وقوانين الاتصال) حفاظاً على حقوق المتلقي والمرسل والمؤسسة الإعلامية والملاك والناشرين ، والرأي العام.

١٢. دمج الصحف الوطنية في مؤسسة إعلام كبرى حفاظاً عليها من الانهيار مع استمرار الإصدار بذات الأسماء بتمويل هائل من الدولة دون التدخل في السياسة التحريرية، ترقية للرأي العام السياسي والثقافي والعلمي والإسلامي.